بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لى صدرى ..

ويسر لى أمرى ..

واحلل عقدة من لسانى ..

يفقهوا قولى ... » .

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته ومن اتبع هديه الى يوم الدين ٠

وبعـد ٠٠

فان القرآن الكريم هو روح من أمر الله ، ونور يهدى به من يشـاء من عبـاده ، وصـدق الله العظيم « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ٠ صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا الى الله تصير الأمور** » (١) ٠

ولا شك فى أن أغـلى أمانى المسلم أن يشرفه الله بخدمة القرآن الكريم ، وأن يوفقـه لعمل يبرز به بعض جوانب الخير فى هذا الكتاب الذى لا تفنى عجائبه ولا ينفد عطاؤه ٠

وقد نبتت هذه الأمنية فى نفسى ـ يعلم الله ـ من عهد الصبا يـوم أن كان أسـاتذتنا الأجـلاء يلقنوننا فى أول درس من كل عـلم من العلوم العـربية والاسـلامية أن شرفه على غيره من العلوم مستمد مما يقوم به من خـدمة للقرآن الكريم ٠

وظلت هذه الأمنية تنمو فى نفسى وتنضج تبعا لمراحل نموى ونضجى ، فبعد أن كانت رغبة مبهمة ، أخذت تحقق ذاتها بتوجيهى للتنقيب عن ميـدان استطيع من خلاله أن أحظى بهذا الشرف العظيم ٠

لهذا عندما سنحت الفرصة ـ من خلال تخصصى فى البلاغة ـ لم أتردد لحظة فى التوجه بكل جوارحى الى القرآن الكريم ملبيا هواتف عميقة فى وجدانى ٠ ولكن الى أى جوانبه أقصد ؟

---

(١) الشورى : ٥٢ ـ ٥٣ ٠

ان القرآن الكريم لا يضم فقط العقيدة والشريعة التى يريد أن يتلقاها الناس عنه ويقيموا حياتهم الروحية والمادية على أساسها ، ولكنه عرض عليهم ذلك ودعاهم اليه فى أسلوب فريد ، به من وسائل التأثير ما يكفل لمبادئه وأحكامه تلك أن تستقر فى أعماق النفوس وتخالط حنايا القلوب · وهو الى جانب هذا وذاك كتاب معجز ليظل اعجازه آية صدقه وهاديا الى موحيه · وبذلك تفرد فى كماله ، وصدق فيه قول الحق جل وعلا « **ذلك الكتاب** » بهذا الأسلوب الذى يسقط ما عداه من الكتب عن رتبة مشاركته فى هذه الصفة ·

هذه الجوانب الثلاثة التى لم تجتمع الا فيه ، والتى جاء كل منها فى بابه ذروة فى الكمال ، جعلته يحظى بما لم يحظ به كتاب على مدى التاريخ من اهتمام العلماء به ، ودراساتهم حوله ، تجلية لهديه ، وكشفا عن نفائسه ، واغترافا من علومه ومعارفه ·

واذا كان الجانب الأول قد استأثر به ما هو أمس به رحما من علوم الفقه والكلام والتفسير والأصول وغيرها ، فان الجانب الثالث وهو جانب اعجازه وخروجه عن طوق البشر أصبح حقيقة تاريخية لا سبيل الى المراء فيها ، كما أنه أيضا قد نال من البحوث والدراسات ما يجعل كل محاولة للحديث عنه من جديد تكاد تكون من مكرر القول ومعاد الكلام ·

لم يبق اذن الا الجانب الثانى وهو النظر فيه باعتباره كتاب دعوة وأسلوب عرض لمبادئه وتشريعاته ، وهذا الجانب ـ فى نظرى ـ يمثل جوهر البحوث البلاغية ، وفيه وجدت ضالتى ، اذ هو الميدان الذى يجب أن تتجه اليه العزائم، وتتطلع الهمم ·

ولا أدعى أنه مجال بكر لم تعالجه الأقلام ، ولم تتنافس فيه القرائح ، فمنذ كانت البلاغة والعلماء يتخذون من النص القرآنى مادتهم الأساسية فى بحوثهم ودراساتهم · يكشفون عن سمو بلاغته وأسرار نظمه وألوان جماله ·

ولكن جهودهم المشكورة على ما بها من ثاقب النظر ودقة الفهم وسمو الذوق ، وصفاء الفطر ، ظلت قاصرة عن أن توفى هذا الجانب حقه · اذ استنفدوا الجزء الأكبر من جهدهم فى بحوث جزئية متتبعين الألوان البلاغية فى القرآن كاشفين عن جمالها وروعتها أو متحدثين عن سمو منزلتها وعلو مكانتها بين غيرها مما فى كلام البشر من ألوان البلاغة والبيان · فاذا جاوزوا

هذه الدائرة الضيقة ، وتناولوا نصا كاملا عالجوه كوحدة قائمة بذاتها لا كجزء من كل يعالج موضوعا ويدعو الى هدف ٠

فالقرآن الكريم كتاب دعوة ، وكل دعوة لابد لها من أساس فكرى يمثل العقيدة ، وتشريع عملى يمثل ضوابط السلوك ويحدد الحقوق والواجبات ٠ هذا حق ٠ ولكن الدعوة تحتاج بجانب هذا الى داعية يؤمن بهذه العقيدة وهذا التشريع ايمانا يخالط كيانه كله ، ويدفعه الى نقل ما يؤمن به الى الآخرين مستمدا من حرارة ايمانه ، وتأجج مشاعره ما يعينه على عرض ما لديه فى أسلوب يصل الى قلوب المخاطبين ، ويلامس وجدانهم ويستقر فى نفوسهم ليصبح ايمانا راسخا يوجه سلوكهم ويحدد اتجاههم ، ويضفى طابعه على كل ما يصدر عنهم ، وبذلك تؤدى الدعوة دورها فى نقل الأفكار والمبادىء من واقعها النظرى الى الواقع العملى ٠

ولقد قام القرآن الكريم بذلك كله ، فهو كتاب دعوة ، بل هو المثل الأعلى للدعوة ٠ وعندما ننظر فى كتاب الله بهذا المعيار ، ونتناول بلاغته من هذا الجانب ، فلن تغنينا حينئذ تلك النظرة الجزئية بما تتضمنه من ألوان البلاغة ولا تلك النظرة التى تتجه الى نص فى موضوع بمعزل عن بقية النصوص التى تتكامل معه وتمثل فى مجموعها دعوة القرآن الى هذا الموضوع ٠ بل لابد لنا من النظرة الشاملة التى يتسع مداها ليشمل مجموع النصوص التى تدعو الى هدف معين ، فذلك هو المنهج القادر على الوفاء بحق القرآن الكريم ككتاب دعوة حقق نجاحا لا يتطاول اليه فى تثبيت الايمان فى القلوب ، وبناء حضارة منبثقة عن هذا الايمان ٠

وهذا المنهج فى دراسة القرآن الكريم أرجو أن يكون جديدا ، وهو جدير بأن تبذل فيه الجهود ، وتحشد له الطاقات ، وهذا هو موضوع هذه الدراسة وذلك هو منهجها ٠ ومنه جاء اختيارى لعنوانها « أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ٠ ومنهاجا » ليكون معبرا عن الموضوع والمنهج الذى اتجهت اليه ٠

وعلى الرغم من وضوح المنهج فقد واجهت عقبات كثيرة كان لابد من تذليلها ٠ واتخاذ قرار باختيار واحد من بين البدائل المطروحة لمعالجة كل عقبة واجهتنى ٠

وأول ذلك أن القرآن الكريم كله كتاب دعوة أنى اتجهت اليه وجدت ما يمس موضوعك ويتصل به ٠ وكانت هناك خيارات لابد أن أستقر على أحدها ٠

وواضح أن دراسة القرآن الكريم كله تكاد تكون أمرا مستحيلا لخروج ذلك عن طوق الباحث وعدم تلاؤمه مع دراسة لها حدودها ، ففكرت فى الاقتصار على هدف واحد من الأهداف التى يدعو اليها القرآن الكريم ولكنى لاحظت تفاوتا فى الأسلوب القرآنى من موضوع الى موضوع ، ولو اقتصرت على دراسة موضوع واحد فلن تكون نتائج الدراسة معبرة بدقة عن خصائص أسلوب الدعوة القرآنية • فلم يبق الا أن أختار عدة موضوعات تمثل فى مجموعها الجوانب المختلفة التى عالجها القرآن الكريم • فاخترت موضوع «الدعوة الى الوحدانية» ليمثل أسلوب الدعوة الى العقائد ، واخترت موضوع «الانفاق فى سبيل الله» ليمثل أسلوب الدعوة الى العبادات ، واخترت موضوع « التشريع للأسرة » ليمثل أسلوب الدعوة الى المعاملات •

وبعد أن استقر رأيى على ذلك واجهتنى عقبة جديدة ، ذلك أن النصوص الواردة فى كل موضوع من هذه الموضوعات من الكثرة والتعدد بما يجعل دراسة لها حجم متعارف عليه ، عاجزة عن استيعاب كل هذه النصوص وهنا لجأت مرة أخرى الى الاختيار ، وكان رائدى فى ذلك أن تكون النصوص المختارة فى كل موضوع ممثلة لكل أساليب العرض التى استخدمها القرآن الكريم فى عرضه والدعوة اليه •

وواجهت بعد ذلك موضوع المراجع اللازمة للبحث ، وأدركت أن طبيعة الموضوع تجعل الباحث فى حاجة الى الاستعانة بكل فروع المعرفة الانسانية ولكنى مضيت فيه مستجيبا لنصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم « سددوا وقاربوا » فحسبى أن أبذل طاقتى وغاية جهدى والله من وراء ذلك يمدنى بالتوفيق ويهدينى الى الصواب •

هذا وقد أقمت البحث على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة • أما الباب الأول فعنوانه « البلاغة والدعوة » قسم البحث فيه الى ثلاثة فصول عالجت فى الفصل الأول موضوع الدعوة فى ذاتها ، أيا كانت بشرية أم سماوية وجعلت عنوانه « الدعوة والداعية » تحدثت فيه عن عناصر الدعوة ومهمتها ، ووسائل التأثير اللازمة لابلاغها •

ولما كانت الدعوة الاسلامية ذات طبيعة خاصة تستلزم تعددا فى الأساليب وتنوعات فى طرق العرض فقد جعلت ذلك موضوع الفصل الثانى وعنوانه « طبيعة الدعوة الاسلامية » وعالجت فيه كل ما يتصل بالموضوع •

أما الفصل الثالث فكان موضوعه « البلاغة وصلتها بالدعوة » تحدثت فيه أولا عن البلاغة من حيث دوافع البحث فيها ومنهجه ، ورسمت صورة للبلاغة تبرز سماتها قديما وحديثا · ثم انتقلت الى جوهر الباب وهو صلة البلاغة بالدعوة مبرزا وظيفة البلاغة فى الحياة وأنها من هذه الناحية تعتبر سلاح الداعية الذى يناضل به للوصول الى غايته · وبهذا جاء الباب تمهيدا ضروريا لما بعده ، بما اشتمل عليه من دراسات نظرية لابد منها ·

أما الباب الثانى فهو دراسة تطبيقية فى ضوء ما سبق فى الباب الأول وقد قسمته الى ثلاثة فصول ·

الفصل الأول خاص بدراسة : « البلاغة فى الدعوة الى العقائد » واخذت « الدعوة الى الوحدانية » ليكون موضوع الدراسة ·

والفصل الثانى خاص بدراسة : « البلاغة فى الدعوة الى العبادات » واخترت « الدعوة الى الانفاق فى سبيل الله » موضوعا له ·

والفصل الثالث خاص بدراسة : « البلاغة فى الدعوة الى المعاملات » وكان « التشريع للأسرة » هو موضوع الدراسة فيه ·

وقد استغرق هذا الباب الجزء الأكبر من الرسالة · وهو يمثل الجانب التطبيقى فيها ·

أما الباب الثالث فكان استخلاصا لخصائص الأسلوب القرآنى وسماته التى أبرزتها الدراسة النظرية والتطبيقية فى البابين الأول والثانى وعنوانه « خصائص الأسلوب القرآنى » وقد قسم الى فصلين ·

الفصل الأول عنوانه « وسائل التأثير فى الأسلوب القرآنى » سجلت فيه الملامح والسمات البلاغية التى تجلت فى دراستنا للأسلوب القرآنى فى الدعوة وبلوغها الغاية التى لاتدرك فى بابها ·

والفصل الثانى عنوانه « توافق الأسلوب القرآنى مع موضوع الدعوة »ركزت فيه على تأكيد الحقيقة التى لا يجوز تجاهلها ، وهى أن البلاغة ليست ألوانا بلاغية تحشد فى النص كيفما اتفق ، بل لابد أن يستدعيها المقام ويتطلبها الموضوع فتأتى ملبية لندائه لا مقحمة نفسها عليه ·

أما الخاتمة فقد تضمنت الاشـارة الى أهم نقاط البحث ونتائجه التى حققها ٠

هذا وبالله التوفيق ، واليه التوجه بالرجاء والضراعة أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، محققا لما انبعث عنه من نية صادقة فى خـدمة كتاب الله ، وأن يتجاوز عـن كل ما قصرت عنـه الهمـة ، وهو حسبى ونعم الوكيل ٠

عبد الغنى محمد سعد بركه

***